تقرير عن ندوة

التواصل الحضارى: أهدافه، وآلياته، ومعوقاته

إعداد: أ/ أحمد على سليمان(*)

حسنا فعلت مجلة التواصل التى تصدرها جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجماهيرية الليبية حينما عقدت حلقة نقاشية عن (التواصل الحضارى: أهدافه، وآلياته، ومعوقاته)، يوم السبت ٢٦ يناير ٢٠٠٨ بمدينة القاهرة، بمشاركة رابطة الجامعات الإسلامية، ودار الإفتاء المصرية، وبعض المؤسسات المسيحية، بهدف خلق وعى عام بضرورة التواصل والتعاون بين بنى البشر، وجمعت المهتمين بالتواصل فى لقاء علمى تتلاقح فيه أفكارهم ورؤاهم، نحو هذه القضية التى يجب أن نعمل لها جميعا.. ذلك أن رأب الصدع وبناء صرح العلاقات الطيبة بين البشر يجب أن يرتكز على الشعور المتبادل بالأخوة الإنسانية، وعلى العقل والمنطق والحوار للتعاون من أجل البناء، وتحقيق الفهم المتبادل وتحقيق المنافع المشتركة بين شعوب الإنسانية.. وإنها لمسئولية كبرى وأهداف جليلة يجب أن تتضافر جهودنا جميعا لتحقيقها، لاسيما فى هذا الوقت الحرج من تاريخ الإنسانية..

هذه المعانى وغيرها كانت مرتكزات أساسية فى هذه الحلقة كما سيتضح من خلال إسهامات ومشاركات العلماء التالية:

الإسلام وثقافة الحوار:

فى بداية الحلقة شدد الدكتور محمد أحمد الشريف الأمين العام لجمعية الدعوة الإسلامية، على أنه لا تواصل بين الحضارات ما لم توجد إشاعة لثقافة الحوار، وأن التواصل يعتمد على اللقاء والتعارف والتعاون، محذرا من خطورة الأطر الثقافية الإقصائية للآخر ومحاولة استغلاله فى إفشال كل جهود التواصل الحضارى، خاصة أنه لا يمكن لأى إنسان إقصاء الآخر أو السيطرة عليه، كما أن الأديان ترفض ذلك، مشيدا بتجربة التعايش المصرية التى تمثل خبرة متراكمة فى التواصل الحضارى والعلاقة مع الآخر من خلال التعايش المشترك بين المسلمين والمسيحيين على مدار ١٤ قرنًا من الزمان.

(*) باحث - المدير التنفيذى لرابطة الجامعات الإسلامية.

خطوات التواصل الحضارى

وحدد فضيلة الدكتور على جمعة مفتى جمهورية مصر العربية خطوات التواصل الحضارى موضحا أنه لابد أن يمر بعدة مراحل تمهيدية حتى يحقق غايته .وأول طريق التواصل هو أن نلتقى ونصحح المفاهيم وأن يتعرف كل جانب على الآخر. ونبه على ضرورة البعد عن الجدل فى الأمور العقدية ونحن فى طور المعرفة .ثم تأتى مرحلة الاعتراف بأن هناك آخر موجود،وهو جار لى يعيش فى هذه الدنيا .ثم تأتى مرحلة البحث عن القواسم المشتركة بيننا وبين الآخر..

ونبه فضيلته على أن نجاح تلك المرحلة مرهون بوجود ركنين أساسين هما الحب وحسن الجوار لأنهما أساس كل شيء، وسنجد أن ما نشترك فيه أكثر بكثير مما نختلف فيه، ولنعمل بقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران ٦٤]..فإذا نجحنا فى تلك المراحل سنمتلك القدرة على التواصل والتعاون البناء مع الآخر بنجاح..

وطالب فضيلته بضرورة إيجاد عقلية تقبل بالآخر فى العيش المشترك، ذلك أن التواصل يُعَدّ من الواجبات المهمة فى عصرنا؛ لأن الرفض يعنى فشل جهود التواصل مع الآخر، مؤكدا على أن العلاقة مع الآخر- رغم اختلاف العقيدة -كانت وستظل من أهم الأمور التى حافظت على النسيج الواحد فى مصر بتركيبتها من المسلمين والمسيحيين ومن سائر الأديان رغم العواصف التى تأتى من وقت لآخر؛ ولذلك لم تحدث فى مصر حرب أهلية..

وحذر فضيلته من الجدال حول الأمور المختلف حولها فى العقيدة، مطالبا بالابتعاد عن الجدل الدينى ؛ لأن الحديث والجدل فى هذه الأمور لا يجب أن يدور إلا فى الأكاديميات، وبين المتخصصين.. مشيرا إلى أن من يرفض التعرف على الآخر والحوار معه وحقه فى الحياة تحت مسمى الخلاف فى العقيدة فقد دخل فى شراك الأنانية التى تصل إلى حد الإفساد فى الأرض.وطالب ببناء علاقات قوية بين العالمين الإسلامى والمسيحى تقوم على القواسم المشتركة التى وصفها بأنها كثيرة للغاية وعلى حب الله وحسن الجوار.

أهمية التواصل البينى كمقدمة للتواصل الحضارى

أما الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية فأكد على أن التحديات الحضارية التى تواجه المسلمين فى الحاضر والمستقبل تدفعهم إلى ضرورة التواصل الحضارى مع الآخرين من منطلق القدرة والفهم العميق لهم، والأخذ والعطاء فى مختلف المجالات مع مراعاة الذاتية الإسلامية وعدم الانغلاق على الذات ، على أن تكون علاقة سوية تقوم على الفهم المتبادل والتعاون البناء، مشيرا إلى أن التعامل مع الآخر أصبح ضرورة ملحة، سواء أكان هذا الآخر من بيننا أم من غيرنا ؛ لأن الاختلاف سنة كونية من سنن الله تعالى فى خلقه، وأن الحياة لا تقوم أبدا على الفرد الواحد ولا على الفكر الواحد؛ بل الحياة للناس جميعاً، يقول تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّه النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[البقرة:٢٥١].

وأوضح سيادته أننا إذا لم نفهم الآخرين ونتعامل معهم ونسمح بمساحة من الاختلاف؛ فلن تكون هناك حياة مشتركة بيننا وبينهم. وإذا كان الحوار مع الغرب يواجه بأصوات معادية للإسلام ، فإن ثمة أصوات معتدلة تفهم حقائق الإسلام ومبادئه، ومن ثم يمكننا الاستفادة منها لتغيير العلاقات القائمة اليوم على التصادم والتدابر والجحود بين المجتمع الإسلامى وبين الغرب ليحل محلها علاقة إخاء على مستوى الإنسانية وتكامل على مستوى الحضارات .

ثم تحدث فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف عضو مجمع البحوث الإسلامية ووكيل الأزهر الأسبق موضحا أن الإسلام قد أقر التعايش السلمى وحث عليه، مضيفا أنه لا يوجد دين سلمت نصوصه وتعاليمه السماوية من التحريف إلا حث على الحب ودعا إلى التعارف والتآخى والمساعدة والتعاون بين أبناء البشر جميعا، ويذم الكره ويحارب البغض، ويرفض القطيعة، ويعلم البشر ويؤكد لهم أن أباهم واحد، وأمهم واحدة فهم جميعا أخوة فى النسب، والمولى عز وجل أرسل الرسل والأنبياء، وأنزل الكتب السماوية لصالح الإنسان وسعادته فى الدنيا والآخرة، وجعل أساس التميز بين البشر هو التقوى والخوف من الله وعبادته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣].

وتساءل: هل يمكن أن يتم التعايش السلمى الإيجابى البناء فى مجتمع دولى متعدد يسوده الاختلاف بين البشر فى مجالات الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية ...الخ، لاسيما الاختلافات العرقية والدينية؟! وأجاب فضيلته قائلا: نعم يمكن أن يتم التواصل والتعايش السلمى إذا توافرت عوامل ووسائل تحقيق هذا التعايش، فالأمر يحتاج أولا لصدق النية لدى الجميع فى السعى لتحقيق هذا الأمل ، لاسيما المؤسسات التى تتبنى الدعوة إلى هذا التعايش، ثانيا تفعيل الدور الإيجابى للحوار على وجه عام فى جميع مجالات الحياة و أهمها الحوار الدينى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى.

ويرى د. عبد الإله بن عرفة الخبير بمنظمة الإيسيسكو وعضو اللجنة الاستشارية لمجلة التواصل :أن التواصل الحضارى يجب أن ينصب على المشترك الحضارى أو الهوية الكلية، وهى ما يعبر عنها فى ثقافتنا الإسلامية بالأخوة الإنسانية هذه الأخوة تجمع عناصر مشتركة نتقاسمها مع الآخرين وهى تشكل لنا جميعا هوية عليا بغض النظر عن الهويات الأخرى الفردية أو الجماعية ، ويقول: ونحن إذ ننظر إلى مفهوم التواصل بعين الرضا فإن هذا لا يعنى أننا نقبل بجميع الوسائط التى يتم بها؛ بل يجب علينا الاستفادة من الجوانب الخيرة فيه وترك الجوانب السيئة ، وهنا تبرز عقلانية المتلقى فى اختيار ما يعرض عليه من منتجات الحضارات الأخرى، وتمييزها بما يناسب ظروف حضارته، وما يمكن أن يسهم فى تطوير هذه الحضارة بعيدا عن انفعالاته العاطفية غير المدروسة واتخاذ المواقف المتسرعة، ورفض كل ما هو جديد حتى دون أن يكلف نفسه عناء الاطلاع والدراسة .

وأشار إلى أن التواصل الحضارى اليوم هو نتيجة التفاعل بين روافد ٧ حضارات كبرى وهى الحضارة الإسلامية والغربية والكنفشيوسية، واليابانية، والهندوسية، والأرثوذوكسية السلافية، وحضارة أمريكا اللاتينية والذى ينصبّ فى الأساس على المشترك الحضارى والأخوة الإنسانية مستفيدين من العولمة التى أتاحت فرصا أوسع للتواصل الحضارى بين المجتمعات من خلال تدفق المعلومات بين كافة الحضارات من خلال تذويب الحدود بين الدول وزيادة أوجه التشابه بين الجماعات والمجتمعات

والمؤسسات واعتبار كل شيء سلعة حيث حلت الأفكار والمعلومات محلّ السلع فى التبادل المشترك بين الحضارات حيث أقر العالم اتفاقية للحفاظ على التنوع الثقافى بين الحضارات ولم توقع عليها أمريكا وإسرائيل فقط.

الأديان تتوافق ولا تتطابق:

كما شدد البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية، وبطريرك الكرازة المرقسية فى كلمته التى ألقاها نيابة عنه الأب مكارى مؤكدا على أهمية العلاقة والتواصل مع الآخر أيًا كانت عقيدته؛ للوصول إلى حياة مشتركة تتسم بالأمن والسلام، مضيفا أن الكنيسة القبطية لا تؤمن بفكر صدام الحضارات، وإنما تؤمن بالحوار رغم اختلاف العقيدة انطلاقًا من أن الأديان تتوافق ولا تتطابق، كما تؤمن بضرورة ارتكاز الحوار على ثلاث قواعد أساسية هى معرفة الآخر وقبوله، والعمل معه، موضحا أن أهم معوقات التواصل الحضارى، ضيق الأفق والاستعلاء والتمركز حول الذات، والعودة للوراء، وعدم الفهم السليم للمقاصد الدينية، وعدم قبول الآخر..

أما الدكتور منير حنا – مسئول الكنيسة الإنجيلية فى مصر وشمال إفريقيا، فقد ركز على الأرضية المشتركة بين المسلمين والمسيحيين، مؤكدا أن ثمة مساحة واسعة من القواسم المشتركة يمكن أن تحقق التواصل والمحبة ، مطالبا بضرورة تربية الأجيال القادمة على أهمية الحوار بدلاً من السيف، كما لا بد أن ينطلق الحوار الحضارى والعلاقة من منطلق النقاط المشتركة مع هذا الآخر والتى تتمثل أهمها بين المسلمين والمسيحيين فى الاتفاق على عبادة الله الواحد، والإيمان بالثواب والعقاب، والإيمان بالتوبة، وصنع السلام والمحبة.

ويرى الدكتور إبراهيم على الربو مدير مكتب المؤتمرات والهيئات الدولية والإغاثة : أنه لا يمكن الإسهام بشكل فعال فى تحقيق التواصل الحضارى مع الآخر دون التصدى لعملية التفتيت الحضارى التى تتعرض لها الحضارة الإسلامية من قبل أعدائها -بإشعال نار الفتن والمؤامرات الداخلية- حتى ينالوا منها ويصبح المسلمون عاجزين عن صيانتها ويدب الوهن والضعف فى أوصالها وننشغل بمشاكلنا، ولا نتمكن من التواصل الجاد والفعال مع الثقافات الأخرى .فإذا لم نكن قادرين على صون حضارتنا بكل جوانبها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ....فسوف نتسبب فى حجب هذه

الحضارة لتنكفئ على نفسها وتتفرغ لثورة الفتن والمؤامرات بداخلها وتكون بهذا قد أسهمنا فى تمرير هذا المخطط وأسأنا لحضارتنا أكثر مما أساء إليها أعداؤها.

وطرح سيادته رؤية جديدة لمفهوم التواصل مع الآخر موضحا أن: الآخر ليس هو العدو أو الخصم؛ بل هو شخص آخر يختلف معنا فى أشياء، والتواصل معه هو لإيجاد مساحات مشتركة نتفق عليها ويمكننا التعامل من خلالها. وعلينا عند التحدث عن الآخر أن نوسع دائرة الأنا لتشمل الآخرين ممن حولها فلا نسهم فى تهميشهم أو إنكارهم؛ بل يكون قربهم منا بقدر ما هم متصلين بدائرة الأنا. ولترسيخ هذا المفهوم فى الحوار الحضارى يجب ألا يقتصر على المناقشات الأكاديمية داخل المؤسسات الثقافية؛ بل يجب أن نضم رجل الشارع أيضاً لإشاعة ثقافة الحوار والتعارف على المستوى الشعبى ويحقق الحوار الحضارى مبتغاه.

ويفسر د.محمد السماك- رئيس لجنة الحوار الإسلامى المسيحى بلبنان -حكمة الله سبحانه وتعالى من خلق الناس مختلفين قائلا: إن الحكمة الإلهية من خلق الناس مختلفين فى اللون واللغة والجنس والثقافة والعادات والتقاليد تتمثل فى دعوة الناس إلى التعارف يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات١٣]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[هود:١١٨]، مشيرا أن دعوة الناس للتعارف لا تتحقق إلا بالتواصل المعرفى بالدرجة الأولى. لأن زيادة مساحة اللامعرفة تزيد معها هوة سوء المعرفة عمقاً. وبالتالى تتحول العلاقات بين الناس - كما نشهد فى كثير من الحالات -إلى اضطرابات وصدامات ناشئة عن اللامعرفة واللاتواصل.

وفى نهاية الندوة أكد المشاركون على ضرورة التواصل العالمى بين جميع البشر فى شتى الحضارات الإنسانية، وتفعيل الآليات المقترحة للتواصل، وعمل مرصد يضم كافة المهتمين بالتواصل فى شتى أنحاء العالم، وعمل اجتماعات دورية لتلاقح الرؤى والأفكار لترسيخ التواصل وتنجية العالم والأجيال القادمة من خطر الحروب والصراعات..

❊ ❊ ❊